تقديم

أخى المسلم / أختى المسلمة :

بعد أن صدرت الطبعة الأولى من كتابى : (الملعونون والملعونات فى القرآن والسنة) تناول ولدى (خالد) ـ بارك الله تعالى فيه ، وفى إخوته ـ الكتاب ، ثم أخذ يقلب فى بعض صفحاته .. وبعد أن عرف أهمَ موضوعاته .. سألنى : إذا كان هؤلاء هم الملعونون .. فمن هم أهل الرحمة ؟ .. فكان تساؤله هذا مفتاحاً لأمر مهم .. وهو أننى لا بد أن أضع بين يدى القارئ أهم الأسباب التى سنستحق بها رحمة الله عز وجل .. وذلك فى كتاب عنوانه : « أهل الرحمة فى القرآن والسنة » .

.. وإذا كان لى أن أدور حول هذا العنوان المهم الذى ينبغى أن يُشغل ـ بما تحته ـ كل مسلم ومسلمة .. حتى يطمئن كل منهما على نفسه .. ويعرف أهم الأسباب التى بها سيستحق رحمة الله .. فقبل أن أدور معهما حول تلك الإجابة المهمة .. أرى أن أقف معهما أولاً على ما تحت العنوان الآتى ، وهو :

مَن هو صاحبُ الرحمة .. ؟ ، فأقول :

ـ إنه الله ﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾[1] أى : رب الإنس والجن والملائكة ، ورب السموات والأرضين ، وكذلك سائر المخلوقات ..

---

(١) سورة الفاتحة : من الآية ٢ .

﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾(١) أى : الموصوف بعموم الرحمة لجميع الخلق ، وبخصوص الرحمة للمؤمنين .

- ﴿ وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ ﴾ أى : وربك الساتر لذنوب عباده إذا تابوا، ذو الرحمة بهم ﴿ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ ﴾ أى : لو يُعاقبهُم بما اقترفوا من الآثام ، لأنزل بهم العذاب ، ولكنه - لرحمته بخلقه - لا يفعل ذلك بهم ﴿ بِل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلاً ﴾(٢) أىْ : لكن لهم ميقاتاً لعذابهم ، ولن يجدوا من دون الموعد ملجأ ومنجى، ينجيهم من عذاب الله .

- ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا ﴾ أى : ولو يعاقب الله الناس بما عملوا من الذنوب ، والمعاصى ؛ ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ تدبُّ عليها ﴿ وَلَكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ أى : ولكن يؤخر عقابهم بما كسبوا إلى أجل معلوم عنده محدود ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ .. ﴾ أى : فإذا جاء أجل عقابهم ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيراً ﴾(٣) أى : يعلم - سبحانه وتعالى - من الذى يستحق العقاب ، ومن الذى يستوجب الكرامة ، ومن كان فى الدنيا مُطيعاً ، ومَن كان فيها مُشْركاً ، ولا يخفى عليه - سبحانه - أحد من خَلْقِه ..

- ﴿ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا ﴾(٤) أى : يعلم ما يدخل

---

(١) سورة الفاتحة الآية ٣ .
(٢) سورة الكهف الآية ٥٨ .
(٣) سورة فاطر الآية ٤٥ .
(٤) سورة الحديد ، من الآية ٤ .

فى الأرض ، وما يخرج منها ﴿ وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ﴾ ، أى : ويعلم ما ينزل من السماء إلى الأرض ، وما يصعد من الأرض إلى السماء ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ أى : وهو شاهد عليكم أينما كنتم ، يعلمكم ويعلم أعمالكم ، ومُتقلَّبكم ومثواكم ﴿ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1] أى : والله بصير بأعمالكم مُحْصٍ لها ، ليُجازِى المُحسنَ بإحسانه ، والمسىء بإساءته.

ـ ﴿ وَهُوَ الَّذِى يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِ ﴾[2] أى : وهو تعالى الذى يرسل الرياح تُبشِّر بالمطر ، أمام نزول غَيْثه على خلقه ..

ـ ﴿ وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ ﴾ أى: ومن رحمة الله بكم أن جعل الليل ظلاماً ، لتستقروا فيه لراحة أبدانكم من تعب التصرف نهاراً ، وجعل لكم النهار ضياءً ، تتصرفون فيه لمعايشكم وابتغاء رزقه الذى قسمه بينكم ﴿ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[3] أى : لتشكروه على إنعامه عليكم .

ـ ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾[4] أى: ومن حججه على قدرته على الإنشاء والإفناء : خلقه لأبيكم آدم من تراب ثم إذا أنتم يا معشر ذُريته بشر تتصرفون ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ

---

(١) سورة الحديد من الآية ٤ .

(٢) سورة الأعراف من الآية ٥٧

(٣) سورة القصص الآية ٧٣ .

(٤) سورة الروم الآية ٢٠ .

﴿ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ﴾ أى : ومن حجه على قدرته أيضاً : خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة ليسكن إليها(١) ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ أى : وجعل بينكم بالمصاهرة مودة تتوادون بها ، ورحمكم بها ، فعطف بذلك بعضكم على بعض ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ أى : إن فى ذلك لعبراً لقوم يتفكرون فى أدلة الله ، فيعلمون أنه الإله الذى لا يعجزه شىء ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ أى: ومن حجه على قدرته : خلقه السموات والأرض من غير شىء ﴿ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ﴾ أى : واختلاف لغاتكم وألوان أجسامكم ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴾ أى : لعبراً وأدلة لخلقه الذين يعقلون أنه لا يعيبه شىء ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ ﴾ ، أى : ومن حجه عليكم : مخالفته بين الليل والنهار، فجعل الليل تنامون فيه ، وجعل النهار مضيئاً ، لتصرفكم فى معاشكم، والتماسكم فيه من رزق ربكم ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴾ أى : إن فى فعل الله ذلك للذكرى ، لقوم يسمعون مواعظ الله فيتَّعِظُون بها ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ أى : ومن حجه يريكم البرق ، خوفاً لكم إذا

---

(١) قال ابن كثير : (أى : خلق لكم من جنسكم إناثاً تكون لكم أزواجاً ، وذلك من تمام رحمته ببنى آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم ، ولو أنه تعالى جعل الإناث من جنس آخر ، لما حصل هذا الائتلاف بينهم) .

كنتم سفراً أن تمطر فتتأذّوْا به ، وطمعًا لكم إذا كنتم فى إقامة ﴿ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أى : وينزل من السماء مطراً ، فيُحيِى به الأرضَ الميتة ، فتنبت بعد دروسها ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ أى : إن فى ذلك لعبراً وأدلة ، لقوم يعقلون عن الله حُججه ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾ أى : ومن حججه على قدرته قيام السماء والأرض ، خُضوعًا له بالطاعة ﴿ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الأَرْضِ ﴾ أى : إذا دُعيتم إلى الخروج من القبور للحساب والجزاء ، وذلك حين ينفخ إسرافيل فى الصور النفخة الثانية ، يقول : يا أهل القبور قوموا ، فلا تبقى نَسَمة إلا قامت تنظر ، ﴿ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴾ أى : تخرجون من الأرض مستجيبين لدعوته ﴿ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أى : ولله جميع ما فى السموات والأرض ، من مَلَكٍ وجِنٍّ ، وإنس مِلْكٌ وعبيد ﴿ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ ﴾ أى : كل له مطيعون فى الحياة والبقاء والموت والفناء ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ﴾ أى : يبدأ الخلق من غير أصل ، فَيُنْشِئُه بعد أن لم يكن، ثم يُفنيه ، ثم يُعيده كما بدأ ﴿ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ أى : وهو أيسر عليه(١) ﴿ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ أى : وله المثل الأعلى ، وهو

---

(١) هذا بالنسبة إلى الخلق ، كما قال الطبرى ، وإلا فالكل على الله هيِّن ، وإنما خاطب الله تعالى العباد بما يعقلون .

أنه ليس كمثله شيء ، في السموات والأرض ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢١) وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ (٢٢) وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ (٢٣) وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ (٢٤) وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ (٢٥) وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ (٢٦) وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾(١) أي : العزيز في انتقامه من أعدائه ، الحكيم في تدبير خلقه .

- ﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾(٢) ، أي : إن ربك لهو العزيز في انتقامه ممن أراد عقوبته ، ذو الرحمة لمن تاب من خلقه .

- ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾(٣)

---

(١) سورة الروم : الآيات ٢١ ـ ٢٧ .

(٢) سورة الشعراء : الآية ٩ .

(٣) سورة النساء : من الآية ٨٣ .

أى : لولا توفيق الله وإنعامه عليكم بالإيمان ، لسلكتم طريق الشيطان كما سلكه هؤلاء المنافقون .

- ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾(١) أى : ولولا فضل الله عليكم - أيها الخائضون فى أمر عائشة(٢) - بتركه تعجيل عقوبتكم ، ورحمته إياكم بقبوله لتوبتكم ؛ لمسَّكم عاجلاً عذاب عظيم ، بسبب ما تكلَّمتم فيه من أمرها .

- ﴿ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ﴾(٣) أى : ولولا فضل الله عليكم ورحمته لكم ، ما تطهَّر منكم أحد أبداً من دنس ذنوبه وشِرْكِه .

* * *

- وقد ورد كذلك فى السنة المطهرة ما يشير إلى رحمة الله تبارك وتعالى :

- فعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قَدِمَ رسول الله ﷺ بِسَبْى فإذا امرأةٌ من السَّبْى تَسْعَى إذا وجدت صبِيّاً فى السَّبْى أخذته فألزقَتْه ببطنها

---

(١) سورة النور الآية ١٤ .

(٢) الآيات (١١ - ٢٠) من سورة النور تتحدث عن (حديث الإفك) الذى اتهمت به عائشة الصديقة ، رضى الله عنها ، وما قذفها به أهل النفاق (عبد الله بن سلول) وجماعته . و فى هذه الآيات تبرئة لها من البهتان ، وتحذير للمؤمنين من الخوض فى أعراض المسلمات .

(٣) سورة النور من الآية ٢١ .

فأرْضَعَتْهُ ، فقال رسول الله ﷺ : « **أترون هذه المرأةَ طارحةَ ولدها فى النار**»؟ قلنا : لا والله ، فقال : « **الله أرحم بعبادِهِ من هذه بولدهاَ** » متفق عليه .

- وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **لما خلق الله الخلقَ كتب فى كتاب فهو عنده فوق العرش : إن رحمتى تغلب غضبى** » وفى رواية : « غلبت غضبى » وفى رواية : « سبقت غضبى » متفق عليه .

- (وعنه) قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « **جعل الله الرحمةَ مائةَ جزءٍ فأمسك عنده تِسْعَةً وتسعينَ ، وأنزل فى الأرض جزْءًا واحِدًا ، فمن ذلك الجزء يتراحَم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خَشْيَةَ أن تُصِيبَه** » . وفى رواية « **إن لله تعالى مائةَ رحمةٍ ، أنزل منها رحمةً واحدةً بين الجِنِّ والإنسِ والبهائمِ والهَوَامِّ ، فَبِهَا يَتعاطفُونَ ، وبها يتراحَمون ، وبها تعطف الوحْشُ على ولدها ، وأَخَّر الله تعالى تِسعًا وتسعين رحمةً يرحم بها عباده يوم القيامة** » متفق عليه .

- ورواه مسلم أيضاً من رواية سلمان الفارسى - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن لله تعالى مائة رحمةٍ ، فمنها رحمة يتراحم بها الخلق بينهم ، وتسع وتسعون ليوم القيامة** » وفى رواية : « **إن الله تعالى خلق يومَ خلق السمواتِ والأرضَ مائةَ رحمةٍ ، كلُّ رحمةٍ طِباقُ ما بين السماء إلى الأرضِ ، فجعل منها فى الأرض رحمةً ، فبها تعطِفُ الوالدةُ على ولدها ، والوحشُ والطيرُ بعضُها على بعضٍ ، فإذا كان يومُ القيامة أكملهَا بهذِه الرحمة** » .

- (وعنه) عن النبى ﷺ فيما يحكى عن ربه تبارك وتعالى قال : « **أذنب عبدٌ ذنبًا ، فقال : اللهم اغفر لى ذنبى ، فقال الله تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له رَبّاً يغفر الذنبَ ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب، فقال : أى رَبِّ اغفر لى ذنبى ، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنباً ، فَعلِمَ أن له رَبّاً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب ، ثم عاد فأذنب فقال: أى رب اغفر لى ، فقال تبارك وتعالى : أذنب عبدى ذنباً فعلم أن له رَبّاً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب . قد غفرتُ لعبدى فليفعل ما شاء** » متفق عليه .

وقوله تعالى : (فليفعل) أى : ما دام يفعل هكذا يذنب ويتوب ، أغفر له ، فإن التوبة تهدم ما قبلها .

- فإذا كان هذا هو شأن الله تبارك وتعالى .. وإذا كانت تلك هى رحمته التى لا حدود لها ، والتى وسعت كُلَّ شىء .. فإنه لا بد أن يكون هناك دائماً وأبداً أَمَلٌ فى رحمة الله تبارك وتعالى ، الذى يقول فى قرآنه :

- ﴿ **قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ** ﴾

أى : قل يا محمد: يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم ، فأصابوا شيئًا من الذنوب صغيراً أَمْ كبيراً ، لا تيأسوا من رحمة الله تعالى :﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا** ﴾ أى : إن الله يستر الذنوب كلها ، بعفوه عن أهلها إذا تابوا منها ﴿ **إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ** ﴾(١) أى : الرحيم بهم أن يعاقبهم عليها ، بعد توبتهم منها.

---

(١) سورة الزمر الآية ٥٣ .

كما قال تبارك وتعالى مُحذِّراً من اليأس من رحمته سبحانه وتعالى :

- ﴿ إِنَّهُ لا يَيْأَسُ مِن رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾(١) .

أى : إنه لا يقنط من فَرَجِه ورحمته ، إلا القوم الجاحدون بقدرته .

- وإذا كان اليأس من روح الله معناه الكفر .. والعياذ بالله .. (فإنه) ليس من الإيمان أن يكون هناك قُنوط من رحمة الله .. ولا سيَّما إذا كانت هناك مُبشِّرات فى القرآن والسنة :

ففى القرآن الكريم يقول تعالى :

- ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ ﴾(٢) .

- ﴿ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلاَّ مَن تَابَ وآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا (٧٠) وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا (٧١) ﴾(٣) .

وفى السنة الشريفة ، ورد :

- عن أبى أيوب ، خالد بن زيد - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله

---

(١) سورة يوسف ، من الآية ٨٧ . والرَّوح ، أى : الرحمة .

(٢) سورة طه ، الآية ٨٢ .

(٣) سورة الفرقان ، الآيات ٦٨ - ٧١ .

ﷺ يقول : « **لولا أنكم تُذنبون ، لخلق الله خلقًا يذنبون ، فيستغفرون ؛ فيغفر لهم** » رواه مسلم .

ـ وعن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **لو يعلمُ المؤمنُ ما عند الله من العقوبة ما طَمِعَ بجنته أحد ، ولو يعلمُ الكافر ما عند الله من الرحمةِ ما قنط من جنته أحد** » رواه مسلم .

ـ وعن أبى هريرةَ رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه قال : قال الله عز وجل : « **أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه حيث يذكرنى ، واللهِ للّهُ أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة . ومَن تقرّب إلىّ شبراً تقَربت إليه ذراعاً ، ومَن تقرب إلىّ ذراعاً تقربت إليه باعاً ، وإذا أقبلَ إلىّ يمشى ؛ أقبلت إليه أهرَولُ** » متفق عليه ، وهذا لفظ إحدى روايات مسلم .

ـ وعن جابر بن عبد الله ـ رضى الله عنهما ـ أنه سمع النبى ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول : « **لا يموتَنّ أحدُكم إلا وهو يُحسِنُ الظّنّ بالله عز وجلّ** » رواه مسلم .

ـ وعن أنس ـ رضى الله عنه ـ قال : سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « قال الله تعالى : « **يا بن آدم إنك ما دعوتنى ورجوتنى غفرتُ لك على ما كان منك ولا أُبالى ، يا بن آدم لو بلغت ذنوبُك عَنانَ السماء ثم استغفرتنى غفرتُ لك ، يا بن آدم إنك لو أَتيْتَنى بقُراب الأرض خطايا ثم لَقِيتَنِى لا تُشْركُ بى شيئاً ؛ لأَتيتُكَ بقُرابِها مغفرةً** » رواه الترمذى وقال : حديث حسن .

ـ مع ملاحظة أنه لا بد من تحقيق :

شُروط التَّوبة

وقد ذكرها الإمام النووى فى كتابه : (رياض الصالحين) فى باب التوبة .. حيث يقول :

ـ قال العلماء : التوبة واجبة من كل ذنب ، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدميٍّ ، فلها ثلاثة شروطٍ ، أَحدها : أن يُقلع عن المعصية ، والثانى : أن يندم على فعلها ، والثالث : أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً .. فإن فقد أحد الثلاثة ؛ لم تصحَّ توبته .

ـ وإن كانت المعصية تتعلق بآدميٍّ فشروطها أربعةٌ ، هذه الثلاثة ، وأن يبرأ من حق صاحبها .

فإن كان مالاً أو نحوه ؛ ردَّه إليه ، وإن كان حدَّ قذفٍ ونحوه ؛ مكَّنه منه ، أو طلب عفوه ، وإن كانَ غِيبةً استَحلَّه منها(١) ، ويجب أن يتوبَ من جميع الذنوب ، فإن تاب من بعضها صحَّتْ توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب ، وبقى عليه الباقى .

وقد تظاهرت دلائل الكتاب والسنة وإجماع الأُمة على وجوب التوبة ..

ـ قال الله تعالى : ﴿ **وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴾(٢)

وقال : ﴿ **وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ** ﴾(٣) .

---

(١) أى : طلب منه المسامحة .

(٢) النور : من الآية ٣١ .

(٣) هود : من الآية ٩٠ .

- وقال : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا** ﴾(١) .

- وعن أبى هريرة - رضى الله عنه - قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **والله إنى لأستغفر الله وأتوب إليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة** » رواه البخارى .

- وعن الأغَرِّ بن يَسَارٍ المُزْنِيِّ - رضى الله عنه - قال : قال رسول الله ﷺ : « **يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإنى أتوب فى اليوم مائةَ مرةٍ** » رواه مسلم .

والآن .. وبعد هذا الأساس ، الذى كان لا بد من الوقوف عليه ، حتى لا نيأس - والعياذ بالله - من رحمة الله .. وحتى لا نكون من هؤلاء الذين لا يعرفون قدر الله عز وجل وحبَّه لعباده التائبين إليه .. والمستغفرين إياه - عز وجل - .. أريد أن أبدأ فى الوقوف مع الأخ المسلم ، والأخت المسلمة على أهم الأسباب التى بها - إن شاء الله تعالى - سنكون أهلاً لرحمة الله تبارك وتعالى .. كما جاء فى القرآن والسنة .. فإليهما تلك الأسباب القرآنية والنبوية ، مع الدعاء لى ولهما بالتوفيق.

خادم القرآن والسنة

طه عبد الله العفيفى

---

(١) التحريم ، من الآية ٨ .